



ملف

بعد عقود من الاستعمار ومن حكم الأنظمة المتعاقبة بعده، التي هيمنت عليها مصابات الفساد، جاءت الحرب في ليبيا لتشكل منعطفاً استراتيجياً أثر بشكل مباشر على منطقة الساحل الأفريقي، باعتدًا الحياة في «الحركة الأزودية» ودافعاً نحو ظهور «الجهاديين» المحليين، الذين يثبت يوماً بعد آخر أنهم نتاج الفوضى، وقبلها نتاج الأزمة الليبية التي تتفاقم في تلك الدول منذ حظ المستعمرون أقدامهم فيها، بعد ذلك بعامين، في 2013، كان يكفي مجموعات جيدة التسليح والتنظيم اجتياح مالي، لتندلع أزمة سياسية - عسكرية، سيتبعها تدخل عسكري فرنسي ينتج له أحد أبعاده حالياً في أحدث حروب النفوذ في صحراء أفريقيا الكبرى

الساحل الأفريقي بلا أفق حُرَّاس الخراب يتمددون

تونس - حبيب الحاج سالم

بدعم فرنسي وغربي، تسعى دول الساحل الأفريقي الخمس (موريتانيا ومالي والنيجر وبوركينا فاسو وتشاد) إلى «بناء

قوة عسكرية لمقاومة الإرهاب». وأمام تعثر جهودها، تبقى الصحراء الشاسعة الممتدة في هذه الدول أو عند حدودها، والعبارة بجنوب دول المغرب العربي وصولاً إلى تخوم السودان، فضاءً تتقاسم النفوذ

فيه بشكل خاص القوات الفرنسية الضامنة لهيمنة بلادها في الإقليم، و«الجماعات الممتدة في هذه الدول أو اليوم أكثر وحدة وقوة من أي وقت سابق». مفاً يعزز هذه الخلاصة أن الحروب «ضد التنظيمات الجهادية» في مالي، وفي ليبيا، كما في منطقة الساحل ككل، لم تنته، ويبدو أن نهايتها أبعد من رمى النظر. هذا ما تقوله التطورات، وهذا ما تقود إليه آخر المؤشرات. ففي العاصمة النيجرية نيامي، انتهت الأسبوع الماضي القمة الرابعة لمجموعة دول الساحل الخمس على إخفاق جديد في حشد التمويلات اللازمة لتشكيل قوة عسكرية مشتركة بينها تتولى حمايتها «من الخطر الجهادي». وفي مقابل هذا الإخفاق، يستمر «الجهاديون» في تدعيم قوتهم، إذ تتكثف هجمات «جماعة نصرة الإسلام والمسلمين في المغرب الإسلامي» منذ تشكيلها في الأول من آذار/مارس من العام الماضي.

عودة إلى استقلال أزواد

لم يهدأ شمال مالي منذ استقلال

انتهت عملية «سرفاك»، في تموز 2013، وعوضتها «برخان» المستمرة إلى الآن (جو بايني)

أسلحتهم وخبرتهم العسكرية، وذكريات قضيتهم المنسية. وبوصول العائدين إلى أزواد، تولى محمد أغ ناجم، وهو عقيد سابق في الجيش الليبي، قيادة أركان «جيش الحركة الوطنية لتحرير أزواد»، وبدأ التمرّد. مع مرور الوقت، اتسعت العمليات العسكرية، ومع حدوث انقلاب في العاصمة بامako، انهيار الجيش المالي وسيطرت الحركة على المناطق الثلاث الرئيسية في الإقليم (كيدال، غاو، وتومبكتو)، فيما أعلن الاستقلال في 9 نيسان/أفريل عام 2012. لكن لم يكن «الوطنيون العلمانيون» وحدهم، إذ برز «الجهاديون» أيضاً على الساحة، ممثلين بثلاث حركات أساسية: «أنصار الدين»، «تنظيم القاعدة في المغرب الإسلامي»، و«حركة التوحيد

البلاد عن فرنسا عام 1960، حيث عصفت بإقليم أزواد ثلاث انتفاضات قادها الطوارق، المجموعة الاثنية الأغلبية، بمؤازرة من قبائل العرب والفلواتي. مع استمرار الجور وتعطل الاتفاقات المتلاحقة مع الحكومة المركزية، لم تهدأ تطلعات أهل الشمال الانفصالية، وكادت انتفاضتهم الرابعة تبلغ مسعاها. المحاولة الأخيرة انطلقت بتأسيس «الحركة الوطنية لتحرير أزواد» في الأول من تشرين الثاني/نوفمبر عام 2010، أي على أعقاب الانتفاضات العربية. ومع بداية التحركات العسكرية في ليبيا، انسحب مئات المقاتلين الطوارق (الذين حظوا سابقاً بترحيب معمر القذافي ورعايته)، باتجاه موطنهم الأم، حاملين معهم

من العلمانية إلى «الجهادية»

كان زعيماً «تنظيم القاعدة» و«الدولة الإسلامية» في المنطقة، يتبنيان في بدايتهما طروحات علمانية. ففي حوار نادر معه، نشرته جريدة «المسرى» (الجهادية) في عدد 3 نيسان الماضي، تحدث إيد أغ عالي، زعيم «جماعة نصرة الإسلام والمسلمين في المغرب الإسلامي»، عن مسيرته، قائلاً إنها بدأت بتأسيسه «الحركة الشعبية لتحرير أزواد» عام 1978 بدعم من ليبيا، وأنه «انتقل بعد ذلك بين عامي 1981 و1983، يطلب من القذافي، إلى سوريا ولبنان للقتال ضد إسرائيل». مع غزو العراق، بدأت التحولات الفكرية، تبعها الانضمام إلى «الدعوة والتبليغ» قبل الالتحاق بـ«القاعدة». أما عدنان أبو الوليد الصحراوي، زعيم «الدولة الإسلامية في الصحراء الكبرى»، فكان منخرطاً في التنظيم الشبائي لـ«البوليساريو»، قبل دخول «حركة التوحيد والجهاد في غرب أفريقيا» التي تأسست عام 2011. ومع اندماج منظمته مع «الملثمون» بزعامه مختار بلمختار، صار قيادياً في «المرابطون» المالية للقاعدة، قبل الالتحاق بـ«الدولة» عام 2015.

شخصية الملف

أبو حفص الموريتاني: «هفتي القاعدة التائب»

نواكشوط - عالي الدمين

من بين شخصيات جهادية موريتانية عدة، مثل محفوظ ولد الوالد، أكثر من غيره، اسماً بارزاً في ساحة الجهاد العالمي بسبب أنه كان ثالث شخصية في «القاعدة»، مطلوبة دولياً. بروز اسمه ساهم في أن يكون شخصية رائدة في ميدان «الحركات الجهادية»، ومؤثراً أيضاً بقوة في تلك الحركات التي ظهرت نشيطة قبل سنوات قليلة في الساحل الصحراوي، منطلقاً من خلفية جهادية ومستلهمة تجربة «القاعدة» نهاية القرن الماضي وبداية القرن العشرين.

وهو باعتباره أول شخصية جهادية موريتانية تصل إلى هذا المستوى، فإن ذلك قد جعله يؤثر تأثيراً قوياً، كباقي قادة «القاعدة»، على «الجهاديين الجدد» في منطقة الصحراء تحديداً. ويتضح من بعض التعليقات المتفرقة هنا وهناك أن «الجهاديين في الساحل» كانوا يحتفظون بصورة تبجيلية عنه باعتباره قيادياً بارزاً في «القاعدة» وصاحب نشأة الحركة الجهادية المعاصرة وعاصر أكثر رجالها قوتها. ولكن اليوم بعدما اعتزل عالمه السابق مطلع القرن الحالي وعدل من مساره، فإن ذلك يسبب إثارة الكثير من الجدل حوله. وما من جدل أكثر صدق وقوة من ذلك الجدل الذي دار في الأوساط

الجهادية في العالم عقب «تحوله».

في بداية التسعينيات انتسب محفوظ ولد الوالد إلى تنظيم «القاعدة» الذي كان حينها في طوره التأسيسي الأول، مُكتملاً آخر فصول «الجهاد ضد السوفيات» في أفغانستان. وقد تزامن ذلك الانتساب مع تقديمه بحث تخرّج في «المعهد العالي للبحوث والدراسات الإسلامية» بنواكشوط، تحت عنوان «الصحة الإسلامية في موريتانيا»، احتوى أحكاماً قيمية توضح رؤية كاتبه الأصولية جيداً. انتقاده للدولة الوطنية بسبب علمانيته المفسدة، وقوله بأن استنادها إلى الشريعة الإسلامية في القانون هو مجرد ادعاء وخديعة، وعلاوة على ذلك، محاولته نقض وتشنيع الديمقراطية كنموذج للحكم بنسب «أي جدوائية ممكنة لها في المجتمعات الإسلامية»، وغير ذلك.

من شأن ذلك إيضاح أنه بانتساب الرجل إلى «القاعدة»، فقد كان متمتعاً بخلفية دينية وفقهية من شأنها أن تجعل إدراكه لأمر الحكم والجهاد من الناحية الشرعية، وخصوصاً على النحو المطلوب في «القاعدة»، إدراكاً راسخاً. وهذا ما هيأه أكثر من غيره لأن يكون المفتي الشرعي للتنظيم في مرحلة ما بعد أفغانستان الأولية (بين منتصف الثمانينيات ومنتصف التسعينيات)، وهي مرحلة كان التنظيم يأخذ فيها زخماً إعلامياً كبيراً في

العالم أجمع تقريباً.

ويقدر ما جعله ذلك عرضةً للمتابعة الأمنية، من قبل المخابرات الغربية، بقدر ما جعله أيضاً يبدو منافساً للشخصيات الرئيسة الأخرى، كأسامه بن لادن، الذي اصطدم مرّات عدة معه في ما يتعلق بالأسس الدينية للتنظيم. ويعتبر ولد الوالد أن الخلاف بينه وبين أسامة بن لادن بدأ في مرحلة السودان (1992 - 1996) وحتى ما بعد، وكان سببه، وفق ما صرّح به في مقابلات إعلامية عدة، أن رؤيته الخاصة للواقع ومآلاته كانت تدفعه نحو تقديم اقتراحات عملية



وإرشادية لتجنب التنظيم كوارث عدة هو في غنى عنها من الأصل. ولكن بن لادن، باعتباره المشرف الفعلي على أمور التنظيم، كان كثيراً ما لا يبالي بالتوجهات الدينية لولد الوالد كمنهج شرعي. وهذا ما جعل الأخير يشعر ببعض الانزعاج من الأمر، ويبدى موقفاً أكثر تمايزاً سيفضي في النهاية، بنحو علني وواضح، إلى الاستقالة (عام 2001 على الأرجح) من التنظيم ودوره التأطيري فيه.

لكن ما هي على وجه الضبط أسباب استقالة ولد الوالد من «القاعدة»؟ لا شك في أنّ الأسباب التي دفعته إلى الاستقالة لم تكن فكرية بالمقام الأول. فهو مع اعتقاده الراسخ بمبدأ الجهاد وضرورته في السياق العالمي الجديد، كشتى أعضاء التنظيم وقادته من حيث تلك النقطة، إلا أنه يمتلك، وفق قوله، تصوراً خاصاً به للأولويات والخطوات التي ينبغي اتباعها عملياً أكثر من غيرها. ومن هنا مثلاً كان يرى «عدم ضرورة التصدي للأنظمة السلطوية الحاكمة»، نظراً إلى أنه «لا يمكن إسقاطها». ويضيف في مقابلة مع «الجزيرة»: «في بداية التسعينيات لما أراد الأخوة في الجماعة الإسلامية الليبية القيام بالجهاد ضد نظام القذافي وطرح هذه الفكرة في الساحة الجهادية، أنا كنت من أشد المعارضين لهذا، لأن سنن الله جارية على الجميع، وهي لا تحابي أحداً، ومن سنن الله أن عدداً قليلاً من الناس بهذه الإمكانيات البسيطة لا